

## تقرير

إسبانيا الجبهة الخلفية للجهاديين و«الذئاب المنفردة»  
إرهاب الدهس والطعن يؤرق أوروبا

الدهس سلاح ارهابي لا تعرف الاجهزة الامنية كيف تتعامل معه.

عاد الارهاب يضرب خطب عشواء في اوروبا، فتتناثر عملياته ما بين اسبانيا وفرنسا وبريطانيا وبلجيكا، وتأخذ اشكالا جديدة يصعب توقعها ومنعها. هذا التطور هو نتيجة تداعيات انهيار تنظيم «داعش» وتغيير استراتيجيته بنقل المعركة الى اوروبا المدعورة من هجمات الدهس والطعن بالسكاكين، والتي تشهد تصاعدا لـ«الاسلاموفوبيا» بعدما تم ربط العنف ومفاهيمه بالمسلمين

وصية ابومحمد العدناني المتحدث باسم تنظيم «داعش» الارهابي التي بثها في تسجيل صوتي عام 2014 ما زالت تلقى تجاوبا من المتعاطفين مع التنظيم في الغرب، وقال فيها: «اذا لم تنجح في القاء قنبلة، او فشلت في فتح النار على مشرك، يمكنك طعنه بسكين او ضربه بالحجر او سحقه بسيارة».

خلال فترة زمنية وجيزة سجلت حادثة طعن بالسكين في فنلندا، وحادثة دهس بشاحنة في اسبانيا. ما حصل يعتبر امتدادا واستنساخا لما شهدته المدن الفرنسية والاوروبية من عمليات ارهابية في السنتين الاخيرتين، خصوصا منذ تموز الماضي الذي دشتت فيه عمليات الدهس بواسطة السيارات او الشاحنات. كانت اكثرها دموية ما

فيها «الذئاب المنفردة»، وقال: «ابنما كنتم فالتغور مفتوحة... اضربوا اهل الكفر»، على حد زعمه.

عمليات الدهس تتواصل في اوروبا حاصدة المزيد من الارواح، وهذا سلاح ارهابي يثير الذعر ولا تعرف السلطات والاجهزة الامنية كيف تتعامل معه، فالدهس عملية سهلة لا تتطلب اللجوء الى اسلحة وذخيرة ومتفجرات، بل فقط مركبات تقاد بسرعة كبيرة للانقضاض على الهدف، حتى بات هذا الاسلوب الاكثر مرونة وسهولة في تنفيذ الاهداف والاقبل تكلفة. تعد نيس ولندن واستوكهولم وشارلوتسفيل وباريس واخيرا برشلونة ابرز محطات عمليات الدهس بالمركبات. ليس للهجوم بالدهس اي هدف نوعي سوى قتل اكبر عدد من الناس عشوائيا، واشاعة الخوف في المناطق المستهدفة، حيث يمكن ان يكون الهجوم في الشوارع او في الاسواق. منفذو عمليات الدهس والطعن لم يسعوا الى الحصول على مواد اولية للتفجير، وبالتالي لم يتحركوا لتصنيعها تمهيدا للاستخدام.

## هاجس عودة المقاتلين الاجانب

انهيار تنظيم «داعش» في كل من سوريا والعراق، وتشردمه وتناثره الى مجموعات صغيرة، تجلت نتائجه الاولى في تصاعد ازمة عودة المقاتلين الاجانب، وبالاخص كون التنظيم تمكن عبر تقنياته المتطورة من استقطاب وتجنيد عدد كبير من القادمين من بقاع مختلفة. وقد بدأت معالم ذلك تظهر في اوروبا لتمتد الى افغانستان والفلبين. وقدر المنسق المكلف مكافحة الارهاب في الاتحاد الاوروبي جيل دي كيرشوف عدد المقاتلين الاوروبيين الموجودين حاليا في الشرق الاوسط بما يتفاوت ما بين 2000 و2500 مقاتل، يتوقع عودتهم الى اوروبا ليتعاظم احتمال انشاء خلايا قادرة على ارتكاب هجمات ارهابية عشوائية، واللجوء الى عمليات خفية تحت الارض يصعب تحديدها. تصدر كل من فرنسا وبلجيكا اجمالي عدد المقاتلين الاوروبيين، فيما تتفاقم ازمة المقاتلين الاجانب مع تدفق المهاجرين الى اوروبا عبر سواحل ايطاليا، في الوقت الذي تسعى دول اوروبية الى سن قوانين وتشريعات لمواجهة هذه العودة الكارثية.

عودة المقاتلين الاجانب الى اوطانهم تشكل خطورة وتحيلهم الى خلايا نائمة ما هي الا قنابل موقوتة، لا سيما بعدما تمت ادلجتهم وزادت اضطراباتهم النفسية نتيجة الممارسات غير السوية في مناطق النزاع.

تداعيات الهجمات الاخيرة التي تعرضت لها دول اوروبية، تشي بتضخم القلق الامني وميل تلك الدول الى تشديد الاحترازمات الامنية، والتعامل مع مقاتليهم بحزم سواء عبر توجيه ضربات عسكرية بالتحالف مع الولايات المتحدة وتصويبها نحو معاقل «داعش» ما يقضي على عدد من المقاتلين الاجانب ويخفف من عبئهم، ومن جهة اخرى عبر سن تشريعات وقوانين لا تجرم الارهاب فحسب، وانما تشمل رفضا لعودتهم في اوطانهم وسحب الجنسية منهم في بعض الحالات.

من الدول الاسلامية. اظهرت دراسات اخرى انه عندما يشعر الناس بانهم عرضة للهجوم بسبب انتماءاتهم الدينية او جنسيتهم او عرقهم، فان ذلك يزيد من تمسكهم بدينهم وهويتهم ويصبحون اكثر ارتيابا في الغرباء. يقول علماء الاجتماع ان هذا يدفعهم الى التشردم، والى الخوف من غيرهم، ويعزز لديهم الرغبة في الانتقام، ويتسبب شعور «نحن» في مواجهة «هم» في حصول انقسام مجتمعي يزيد من حدة التحامل بين الطوائف المختلفة، ويرسم خطوطا للمعارك بينهم، وهو بالضبط ما تتسبب فيه سياسات جناح اليمين الشعبوي الذي تنامت شعبيته في اوروبا والولايات المتحدة اخيرا. ايا تكن نتيجة تلك الهجمات على السياسة الغربية، فقد ساهمت بالفعل في تغيير الجغرافيا العقلية للمجتمعات الحضرية، وفي توسيع هوة صدام الحضارات وانكفاء خطط احتواء الاقليات وتقبل المهاجرين ودمجهم.

هذا ما يحصل في اسبانيا بعد عمليات برشلونة الارهابية. ارتفعت حدة التوتر بين الجالية

المغربية الكبيرة في منطقة برشلونة والسكان الاسبان، خصوصا وان المتهمين الاربعة المعتقلين على خلفية هذه الاحداث كلهم مغاربة. المواقع اليمينية المتطرفة في اسبانيا بدأت استغلال الاحداث للمطالبة بطرد المهاجرين وسد الابواب العملية ستؤثر لا محالة على سياسة الحكومة المحلية في كاتالونيا، المعروفة بتسامحها الكبير مع المهاجرين، وبخاصة المغاربة، مقارنة بسياسة الحكومة المركزية في مدريد.

تمثل الجاليات المسلمة في برشلونة نحو نصف مليون شخص، غالبيتهم يتحدرون من اصول مغربية وباكستانية وعدد من القادمين من الجزائر والسنغال والدول الافريقية.

ويقول الباحث الفرنسي في شؤون الارهاب والاستاذ في المعهد الفرنسي للعلوم السياسية جان بيار فيليو، ان برشلونة وضاحتها ومنطقتها احدي كبرى ثلاث بيئات حاضنة للوجود «الجهادي» في اسبانيا، حيث ان البيئة الثانية تتمثل في العاصمة مدريد ومحيطها، والثالثة في جيب سبتة ومليلة الواقعتين على التراب المغربي. يذهب فيليو الى اعتبار ان اسبانيا التي عرفت في عام 2004 اكبر عملية ارهابية في اوروبا (191 قتيلا ومئات الجرحى) تلعب دور «القاعدة الخلفية للجهاديين».

وتشير التقارير الواردة من اجهزة الامن الاسبانية الى ان وجود الجاليات المسلمة ادى الى انتشار خلايا متعاطفة في اوساطها مع الافكار الجهادية، وخصوصا مع عمل جمعيات خيرية اسلامية تدعو الى التطرف، وتعارض في افكارها مع مبادئ المجتمع الاسباني وتحصل على تمويل خارجي رصدته الاجهزة الامنية في اقليم كاتالونيا. يوجد في اسبانيا بشكل عام نحو 1260 مركزا اسلاميا.

واشارت التقارير الى ازدياد ملحوظ لنشر الافكار المتشددة، وخصوصا بين اوساط الشباب الذي لا يستطيع الانخراط في المجتمع الاسباني، وتحيطه كثير من المشكلات. وواجهت السلطات الاسبانية اخيرا عددا من المشكلات في متابعة العناصر المتطرفين، وخصوصا مع اتجاه الى تجنيد الشباب في المنازل الخاصة والاماكن الصناعية بعيدا من المساجد، وهو ما يصعب مهمات اجهزة الامن الاسباني لتتبع هذه الفئات.

ش. ع.